القمة الطارئة والقمة الضرورية

البيان

البيان ١/١٩

بدر عبد الملك

تجادل الزعماء العرب ومثلهم المثقفون العرب إلى أن أصاب ذلك النقاش الشارع العربي بالعطب حول تلك الظاهرة الملتبسة في الحوار عن وجود قمتين في زمنين متقاربين، مما لم تسعف رجل الشارع ذاكرته ولا وعيه فهم كل ما يدور خلف الكواليس العربية وقممها، فما كان عليه إلا أن يقول ليس هذا بمستغرب فنحن في النهاية أحفاد ثقافة داحس والغبراء.

ما يدفعني للنقاش حول تلك المسألة حقيقة مهمة لماذا يزعق المثقفين بسرعة وهم يدركون ان الأيام القصيرة بين قمتين لن تحل مشكلة غزة ولن تنجز مشروعا تاريخيا لإيقاف الدم المراق في شوارع غزة.

كما إن تعريف وفهم القمتين المتباينتين على إنهما مسألة سلعة ودم واستعجال لإيقاف نزيف شعب يذبح فإن القراءة حتما ستكون مخطئة لكون المؤتمرات السياسية العربية لا تنجز خطوة عملية في كل قضايانا، غير أنها تحقق مهمات حيوية في خلق صناديق للدعم.

وهو ما يبدو أكثر مهما عندما تعلق البنادق وتغلق الخنادق ويتم التقاط ألأطباء أنفاسهم ساعات من الراحة، لكي يتمكنوا لمواصلة علاج الجرحى الذين خلفتهم حرب غزة المدمرة.

سؤال ينبع من أزمة قمة الدوحة الطارئة قبل وصولنا بأيام إلى قمة الكويت «الضرورية» لكونها ليست سياسية متعلقة بمسألة غزة وحدها وإنما بمشروع هام يهم مصير المنطقة اقتصاديا، والذي سيتواصل لسنوات بعد دخول العالم الأزمة المالية العالمية.

وبالطبع الأزمة العالمية لا تعني شيئا مهما للكثيرين، ولكن من يحسبون المكاييل وجرد الحسابات لميزانيات الدول وخططها وسياساتها، فإن غض الطرف عنها ليس إلا جهالة عاجلة وتطرف عميق لواقع المجتمعات والدول والحركات السياسية المغالية.

ترى هل سأل أحد فينا وهو يقارن بين القمتين في الدوحة والكويت أيهما ينبغي عقده وهل بالإمكان مزجهما وتداخلهما في أجندة واحدة أم لا وما الذي يضير ذلك إذا ما تم معالجة مصير غزة ضمن مؤتمر الكويت الذي تم التحضير له بهدوء ولمدة طويلة دون الحاجة للارتباك العاطفي والاستباق السياسي ؟ لماذا نقع في مفارقة أيهما أهم للإنسان يده اليمني أم رجله اليسرى؟

ولكن يبدو أن الدول أحيانا تجرفها سياسات وعاطفة الشارع وتود كسب تلك العاطفة لكي تمسح من ذاكرة الشارع تهمة لصقت بالدوحة عن أنها سارعت بإقامة علاقات مع إسرائيل، لهذا وجدنا هذه الخطوة هي الأبرز في قرارات المؤتمر فلم تقل الدوحة أنها ألغت علاقاتها بإسرائيل وإنما قامت بتجميدها وهذا ما جعل الصحافيين في المؤتمر الصحافي يركزون على مفردة التجميد بسؤالهم رئيس الوزراء القطري، فلم يكن أكثر من دبلوماسي في الإجابة فأحالها حول الظروف التي ستحدد عودة تلك العلاقة.

بدت قمة الدوحة أكثر شحوبا واقل حضورا عربيا رسميا مما افقدها النصاب، فتحولت القمة العربية إلى قمة تشاورية حول غزة وأحالت التوصيات والقرارات إلى مؤتمر قمة الكويت، بعد أن قال وزراء خارجية مجلس التعاون كلمتهم قبل لقاء الدوحة حين قال سعود الفيصل وزير خارجية السعودية : «إن قمة الدوحة قد انهارت لانعدام التأييد لها من الدول العربية».

وبالفعل جاءت تلك المقولة صائبة فقد بدت النتائج شاحبة، فلم تأت بجديد يتعدى المبادرة المصرية ولا التوصيات والقرارات التي رفعها مجلس التعاون الخليجي لرؤساء قمة الكويت.

هل كانت قطر تحاول أن تقوم بحركة استباقية تكسب الشارع العربي وعاطفته، ليس زيادة الدعوات لحضور قمة عربية هو انجاز لملء الفراغ العربي في ظروف ليست مناسبة. من يناشدون الأمم المتحدة وإسرائيل والمجتمع الدولي بمطالبهم، عليهم أن يجدوا أوراق الضغط الحقيقية على إسرائيل.

فكل ما فعلناه إننا كدنا أن نوسع الشرخ العربي، بل ونوسع الشرخ بين دول مجلس التعاون، بسبب تلك النزوات السياسية العاجلة والاستباقية وكأنها مهرجان ثقافي عربي تتنافس به الدول، وتناسينا إن المسألة السياسية المعقدة بموضوع غزة متداخلة فيها شروط كثيرة يفرضها الطرفيين المتنازعين والحلفاء الدوليين والإقليميين لكل طرف وليس إيران وحدها أو هذه القوى أو تلك. والتي غامرت بحياة سكان غزة، واليوم ذهبت للمؤتمر كبديل عن السلطة لكي نؤكد إن الخلاف الفلسطيني . الفلسطيني أثناء تدمير غزة لم يتعد أكثر من شعارات سياسية يسمعها العرب.

لا احد أيا كان مع حصار غزة واحتلالها والعدوان عليها.

ولا احد مع حصار المعابر وإنما العكس، ولكن كيف يتحقق ذلك هذا هو السؤال وهذا ما فعلته ليفني عندما ركضت مسرعة إلى واشنطن لكي توقع مذكرة تفاهم تضمن بموجبها حماية إسرائيل والدفاع عنها بعد رحيل بوش، مذكرة تحتفظ إسرائيل بموجبها الدفاع عن نفسها.

ما عجزت قمة الدوحة عن فعله بتسرعها للدعوة للمؤتمر، ستكون قمة الكويت قادرة على انجاز أهم جوانبه، وهو إنقاذ غزة من حالة التدمير الشامل الذي أصابها، بإعادة إعمار غزة.

ووضع أهم جوانب سياسية واقتصادية، يكون من ضمنها وقف إطلاق النار الدائم وضمانة الشعب الفلسطيني لإدارة شؤونه بنفسه ومحاكمة إسرائيل لكل تجاوزاتها للقانون الدولي ودفعها للتعويضات الكاملة لما تسببته من تدمير وتخريب وقتل وخسائر مادية وبشرية.

وستترك قمة الكويت للشعب الفلسطيني وسلطته الشرعية ومنظماته المدنية والحقوقية إتمام مهماتها في ملاحقة مجرمي الحرب والإبادة.

إن من يخلطون الأوراق السياسية في كل القضايا (لا يمكنهم انجاز مشاريعهم العادلة بالشكل المطلوب) وسيجدون أنفسهم يعودون للمربع والدائرة نفسها) وكلما أوغلوا في المزايدة والتشدد (ادخلوا شعب غزة حالة التجويع والحصار والعنف والموت دون أن يستأذنوه في مصيره) ولكنهم كثيرا ما منحوا أنفسهم حق الكلام عنه كيفما يحلو لهم وبصوتٍ عالٍ.

طوبى لغزة إذ تحيي عظام التضامن العربي وهي رميم

الدستور

الدستور ١/٢٠

عريب الرنتاوي

نريد أن نصدق بأن ما جرى في قمة الكويت، هو مصالحة عربية حقيقية، لا مجرد «مصافحات وتبويس لحى» على الطريقة العربية المعتادة، ونريد ان نصدق بأن «ساعة واحدة» قضاها «الأخوة الأعداء» مع بعضهم البعض، كانت كافية لغسيل القلوب وتفتيح الصدور وإعمال العقول، بحثا وتمحيصا ومراجعة لأرشيف الخلافات العربية وموضوعاتها، ولملامح استراتيجية النهوض في المرحلة المقبلة في مجابهة الأخطار الكامنة في سلوك وممارسة وسياسة «العصابة المجرمة».

نريد أن نصدق بأن مفردات «الحرب» و«المقاومة» التي سحبت من القاموس العربي الرسمي منذ ما يزيد عن ربع قرن، قد عادت للتداول بصدق، وبوصفها خيارات «موضوعة على الطاولة»، لا بوصفها مادة للتداول في سوق المزايدات، وفي بازار القمم العربية الذي انتعش أخيرا.

نريد أن نصدق بأن القادة العرب، يمكن أن يمارسوا نقدا ذاتيا، وأن يعترفوا ولو لمرة واحدة كما ورد، بأنهم جميعا ومن دون استثناء، مسؤولون عن حالة الضعف والهوان التي تعيشها الأمة، والتي مكنت إسرائيل من أن تدوس بجنازير دباباتها على أجساد أطفالنا الغضة الطرية، وأن تحرق بالفوسفور متعدد الألوان، حدقات عيونهم ومآقيها.

طوبى لك يا غزة ، إذ جعلت من عظام أطفالك جسرا يعبره الملوك والرؤساء والأمراء صوب وحدتهم وتضامنهم. المجد لك يا غزة، وأنت تذرفين من الدم والدموع أنهارا تغسل عار الهوان والتخاذل، وتثير الحمية في الشرايين المتيبسة وتعيد بعض الدماء الدافقة إلى الوجوه التي فقدت ملامحها.

والمجد لكم يا شهداء المقاومة ، أيها الرجال الرجال، الذين صنعتم بأجسادكم العارية وبنادقكم «المهربة»، المعجزة تلو الأخرى ، معجزة الصمود الأسطوري في وجه أحد أعتى جيوش العالم وأكثرها همجية، ومعجزة بعث عظام النظام العربي الرسمي وهي رميم.

لم تكن المصالحات في الكويت ممكنة لولا هذا الصمود الباسل لغزة العزة. ولم تكن أحاديث التضامن والمقاومة وتعدد الخيارات متاحة لولا هذه البسالة منقطعة النظير التي تميز بها أهلك يا غزة والخزي والعار لكل من جبن وصمت وتواطؤ وجلس أمام التلفاز مرتقبا ومنتظرا ظهور أول راية بيضاء في سماء غزة.. غزة سريرتها بيضاء، أما راياتها فحمراء حمرة الدم الذي لون طرقاتها وتسلق جدران أبراجها.

لن نركن إلى مصالحات المتصالحين في الدوحة، ولن ننسى قصور من قصّر وتواطؤ من تواطأ، وسننتظر حتى نرى رؤيا العين، ونلمس لمس اليد، مواقف هؤلاء وسلوكهم وأموالهم التي تبرعوا بها، فكم من مرة تبرعوا أمام الكاميرات، وظلت الأموال في الوسائد تحت رؤوسهم.. وكم من مرة تنافحوا نصرة لفلسطين، وفلسطين تتنقل على درب الجلجلة، من مجزرة إلى أخرى ومن كارثة إلى كارثة.. سننتظر لنرى سلوكا مغاير قبل أن نمنحهم «حسن السلوك»، سننتظر لنرى نصرتهم لفلسطين، كل فلسطين، وليس لفريق منها على حساب فريق. سننتظر لنرى إعادة إعمار نزيه ومجرد عن أغراضه السياسية وعن حسابات «الاعتدال والممانعة».. سننتظر لنرى وسيطا نزيها بين الافرقاء يقف على مسافة واحدة منهم، ولا يبذل قصارى جهده للاستقواء بنتائج العدوان والحصار والإغلاقات لتدمير فريق وإخراجه عن الحلبة لصالح فريق آخر، وأي فريق: الفريق الذي تميز أداؤه بالبؤس والتخاذل والارتباك، واستحق غضب الشوارع كلها، وأولها الشارع الغزي المنكوب.

نريد أن نرى المصالحات وتجسيداتها على خطوط التماس بين «المعسكرين» وبالأخص في فلسطين ولبنان، نريد أن نرى «سلم أولويات» جديد لمصادر تهديد الأمن القومي، تقف إسرائيل على رأسه، لا خارجه ، أو على أدنى درجاته كما تموضعت في السنوات الأخيرة.

نريد أن نرى المصالحات تنعكس على «وسائل الإعلام الصفراء»، و«صحف المحافظين الجديد»، المهاجر منها والمقيم، فضلا بالطبع عن ممثليه ومندوبيه المبثوثين على «أعمدة الصحف وزواياها» الصادرة في العديد من الدول العربية.. نريد أن نرى متى سيوقف هذا التحريض المنهجي المنظم على فريق منا، وهذا الاستقواء الأجنبي، حتى وإن كان إسرائيليا ضد الأخ والشقيق.

نريد لـ«سَوْرَة الغضب» التي اجتاحت بعض الدبلوماسيات العربية خلال الساعات الثماني والأربعين الفائتة، أن تكون حقيقة ، ومنتصرة لكرامة دولهم وشعوبهم ومواقهم على رأس العالمين العربي والإسلامي، لا مجرد «لحظة نزق وضيق» أو امتطاء لموجة الصمود والانتصار على العدوان، أو لحظة «ذروة» في بازار المزايدات السياسية، الذي فتح بقوة وبأعلى الأسعار في الأيام الثلاثة الأخيرة.

نريد ان نصدق أن ما حصل هو «عودة الروح» للتضامن العربي وللكرامة العربية وللمصالحات العربية، لا مجرد زوبعة من العواطف في فنجان قمة الكويت أو على هامشها.

القمة العربية وتأملات على هامش النكبة

الأهرام

الاهرام

د.محمد السعيد إدريس

أعتقد أن النسبة الغالبة من العرب، وربما من العالم، الذين يعيشون الآن على قيد الحياة لم يشاهدوا بأم أعينهم ما حدث في فلسطين عامي١٩٤٧ و١٩٤٨ على أيدي المنظمات والعصابات الصهيونية من مجازر وجرائم بشعة استطاعت كلها في النهاية، أن تؤسس دولة إسرائيل. وحتى الذين كانوا أحياء في ذلك الوقت وكانوا على قدر من الوعي والعلم والإحاطة بالأحداث لم يتمكنوا من معرفة إلا النذر اليسير من بعض ماحدث، لأن ثورة الاتصالات والمعلومات التي ننعم بها الآن لم يكن لها أي وجود، لذلك نجح الإعلام الصهيوني والغربي في طمس معالم معظم تلك الجرائم، ولم يبق منها غير القليل، لكن نجح ايضا في تمرير معلومات كاذبة ومضللة عن المقاومة الشعبية الفلسطينية لتلك الجرائم، فصور الفلسطينيين على أنهم جبناء وتجار أوطان باعوا الأرض وهربوا إلي الخارج وتركوها بإرادتهم لليهود.

ماتراه ويراه العالم الآن من صمود بطولي وأسطوري من الأطفال والأمهات والشباب أمام آلة الحرب الاسرائيلية التي زودتها الإدارة الأمريكية بأحدث ما في ترسانتها من أسلحة متطورة ومدمرة، يدحض كل الافتراءات والأكاذيب ويعيد إلينا بعض المشاهد الغائبة عن بطولة هذا الشعب وبسالته في نكبته الأولي عام١٩٤٨، لقد استطاعت الفضائيات العربية والعالمية وبما تبثه على مدار الساعة من مشاهد واحداث وانباء للحرب الإجرامية في قطاع غزة، ان تعيد إلينا بعض ذكرى ما جري في نكبة عام١٩٤٨، نقلت للعالم هول جرائم القتل والتنكيل والإبادة والترويع التي استهدفت إجبار الشعب الفلسطيني على اللجوء تاركا دياره وممتلكاته ومغادرا وطنه قبل أن تغادره روحه، لكنها نقلت ايضا ذلك الصمود غير المسبوق والتشبث الأسطوري بالأرض، ورفض المغادرة ايا كانت الجرائم وأيا كانت الأهوال، لكنها وهي تنقل هذا كله، نقلت أيضاً بعضا من مشاهد الانقسامات الفلسطينية والعربية التي كانت من أهم اسباب تلك النكبة، لقد استطاعت هذه الفضائيات ان تنقل لنا، وبتلخيص شديد، كيف تحولت حرب١٩٤٨ إلى نكبة ليس فقط للفلسطينين ولكن لكل العرب.

واليوم ونحن نعايش أحداث اليوم الثاني من أعمال القمة العربية في الكويت، فإن كل العرب يدركون مدى فداحة وثقل المهمة التي تواجه قادتهم في هذه القمة، لكنهم أيضاً يأملون في ان يصدر عنها الكثير من القرارات والاجراءات العملية القادرة على وقف العدوان ومعاقبة المعتدي علي عدوانه وجرائمه التي اضحى كل مواطن عربي يعرفها ويحفظها عن ظهر قلب، لكن الأهم من هذا كله أن يستطيع القادة الإجابة عن السؤال الجوهري الذي يشغلنا جميعا وهو: كيف يمكن ان نحول دون تحول هذه الحرب الدائرة ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة الى نكبة جديدة للعرب؟

ربما تكون الإجابة الأولية سهلة وهي أن نحول دون تحقيق أهدافها، لكن من هنا تبدأ الصعوبة، صعوبة ان نتفق على تحديد ما تلك الأهداف التي أرادت إسرائيل تحقيقها من الحرب، وصعوبة أن نحدد سبل المواجهة، والأهم هو صعوبة ان نستطيع إنجاز المهام المحددة لتلك المواجهة.

فقد تعمد الإسرائيليون إخفاء أهدافهم الحقيقية من الحرب، لكنهم اتفقوا عليها بنسبة تصل إلي الإجماع. فقد كشف أحدث استطلاعات الرأي التي أجراها معهد كلسكر ونشرتها صحيفة معاريف(٢٠٠٩/١/١٠) أن٩١٪ من الإسرائيليين يؤيدون الحرب وأن٣،٨٪ فقط يعارضونها في حين امتنع٤،٧٪ عن الإجابة، إجماع على الحرب التي وصفتها أغلب أجهزة الإعلام الإسرائيلية(صحافة . تليفزيون) بأنها حرب عادلة لا مثيل في عدلها، هذا الإجماع له مغزاه من ناحية توافق الدولة والمجتمع في إسرائيل على الأهداف المطلوب تحقيقها وهنا مكمن الخطورة.

لقد تعمد الإسرائيليون إخفاء الأهداف الحقيقية من حربهم على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة لسببين رئيسيين، أولهما: التحسب لاحتمالات الفشل وأخذ العبرة من تجربة الحرب علي لبنان صيف٢٠٠٦ فقد تعلموا أن إعلان الأهداف والفشل في تحقيقها يفرض المحاسبة ويؤكد العجز بكل مايحدثه ذلك من مردودات سلبية، وثانيهما تعمد تضليل الدول الصديقة والحليفة لضمان كسب تأييدها ودعمها. فإعلان أهداف محدودة،

خاصة هدف وقف إطلاق الصواريخ أو حتى هدف تأديب حركة حماس يمكن ان يلقي تأييدا من قطاع واسع من أصدقاء وحلفاء اسرائيل الإقليميين والدوليين، لكن ما هو أكثر من ذلك يمكن ان يثير خلافات ويدفع بعض الأطراف إلى أن تنأى بنفسها عن التورط في تأييد أو دعم هذه الحرب.

لكن برغم كل الغموض والالتباس المتعمد من جانب قادة إسرائيل، فإن الحرب والأسلحة المتطورة والمحظورة دوليا التي استخدمت فيها، وتعمد التدمير الواسع والوحشي خاصة للمناطق كثيفة السكان، واللجوء المفرط الى استخدام القوة، وتوسيع أرض المعركة لتشمل كل القطاع وليس مواقع عسكرية لحركة حماس او حركات المقاومة الأخرى، وإطالة أمد الحرب، ورفض القرار المنحاز الصادر عن مجلس الأمن، والتلكؤ في المباحثات حول المبادرة المصرية، والتورط الأمريكي المفضوح في دعمها لدرجة وضع القوات الأمريكية في قاعدة العيديد(قطر) على أهبة الاستعداد لتوفير غطاء جوي لإسرائيل في حالة تعرضها لأي عدوان، والإسراع في إمدادها بأحدث وأخطر الاسلحة من مخازنها الموجودة في تلك القاعدة وفي إحدي قواعدها داخل أفغانستان، كل ذلك كشف أن الحرب ليست من أجل وقف إطلاق الصواريخ ضد جنوب إسرائيل من قطاع غزة، وليست مجرد حرب تأديبية لحركة حماس، لكنها حرب متسعة الأهداف، تبدأ من كونها حرب إبادة للمقاومة في قطاع غزة وتحويله الى منطقة منكوبة غير قادرة على ان تتحول الي مصدر للتهديد،

وتمتد الى كونها حربا لكسر المقاومة باعتبارها مثلا أعلي حسب وصف الإسرائيليين، كسر المقاومة ليس فقط عند الشعب الفلسطيني بل عند كل العرب.

الأهداف لم تتوقف علي ذلك لكنها امتدت أيضاً إلى محاولة فرض واقع جديد لتوازن القوى يحول دون وجود المقاومة كعنصر ضاغط من اجل تحسين شروط التسوية، لفرض ما تريده إسرائيل من تسوية وليس ما يريده الفلسطينيون أو العرب، لكن البعض أخذ يغالي في تحديد معالم معادلة توازن القوى الجديد من الحرب على نحو ما كتب جون بولتون المندوب الأمريكي السابق في مجلس الأمن والحليف القوي لإسرائيل الذي يتباهى بكونه صهيونيا وصاحب المقولة الشهيرة: ليس من الضروري أن يكون المرء يهودياً كي يكون صهيونيا بولتون كتب مقالا منذ ايام في صحيفة واشنطن بوست دعا فيه الى حل جديد للقضية الفلسطينية من رحم هذه الحرب هو حل الدول الثلاث بدلا من حل الدولتين.

مضمون فكرة بولتون انه إذا كان اقتراح إقامة دولتين: إحداهما اسرائيل والأخرى فلسطين قد فشل حسب ما وعد الرئيس الامريكي جورج بوش وحسب ما دعت اللجنة الرباعية الدولية، فإن الحل العملي هو إعطاء الأردن أجزاء من الضفة الغربية وضم اسرائيل الباقي وإعطاء مصر قطاع غزة، وبذلك تحل القضية بوجود ثلاث دول اعتمادا على قاعدة الوطن البديل هي اسرائيل والأردن ومصر.

هذا الهدف أو الأمل لا يختلف كثيرا عن هدف كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة التي رحلت اليوم هي ورئيسها بإقامة شرق اوسط جديد يولد من رحم الحرب الاسرائيلية علي لبنان صيف٢٠٠٦ لكن السؤال الذي يجب ان يكون على أجندة القمة هو: كيف؟ وبأي سياسات وضمن أي خيارات يمكن إحباط كل هذه الأهداف والمخططات؟

فأهداف إسرائيل من هذه الحرب تمتد الي أبعاد أخرى كثيرة منها تعمد إظهار وجود خلافات وانقسامات فلسطينية . فلسطينية وخلافات وانقسامات عربية . عربية حول هذه الحرب، وتعمد التلميح لدرجة الصراحة المفضوحة بوجود أطراف فلسطينية عربية متفهمة للموقف الإسرائيلي، لكن الأسوأ من هذا كله أن يتظاهر الإسرائيليون بقبول المبادرة المصرية او في الاقل بالقبول المشروط ثم يذهبون لاتفاق مع الولايات المتحدة هدفه منع دخول السلاح إلى داخل قطاع غزة عبر المعابر، والمقصود بالطبع المعابر المصرية، متجاوزين كل ما يخص السيادة المصرية، وهذا ما رفضته مصر.

أهداف وتجاوزات شديدة الخطورة يجب ان تكون واردة على أجندة القمة التي نأمل أن تنطلق منها لإعادة مراجعة كل ما سبق اتخاذه من خيارات ومبادرات في ظل فشل الرهان على سلام مع كيان عاجز على التعايش معه، وعلى صداقات مع الولايات المتحدة لم تحقق للعرب أيا من وعودها حتى لا تتحول هذه الحرب وتداعياتها الى نكبة عربية جديدة.

ذهب بوش.. جاء أوباما، فهل يصلح الرئيس الجديد ما أفسده سلفه؟

الصباح

الصباح التونسية ١/٢٠

آسيا العتروس

يبدو ان الرئيس الامريكي الجديد باراك اوباما سيكون محظوظاً في الاقل من جانب اسرائيل بعد ان قررت الترويكا في المجلس الامني بتل أبيب وهو ثلاثي الحرب اولمرت ليفني باراك وقف عملية الرصاص المسكوب على قطاع غزة بعد حملة عشوائية امتدت ثلاثة وعشرين يوما بلياليها بما يمكن ان يفسح المجال للرأي العام الدولي بان يتجه بانظاره الى واشنطن والى حفل تنصيب سيد البيت الابيض الجديد دون ان يكون مضطرا ليدير عنقه باتجاه مشاهد الخراب والدمار والموت السريع في غزة واحصاء قوافل الشهداء والمصابين هناك .لقد جرت العادة ان يسعى الرئيس الامريكي الجديد ليكون رئيس الوزراء الاسرائيلي ضمن اول قائمة ضيوفه الاجانب وهو بالتاكيد تقليد ديبلوماسي حافظ عليه الامريكيون وتمسك به الاسرائيليون لضمان موقعهم لدى كل ادارة امريكية جديدة وتاكيد نوعية العلاقات بينهما بفضل الدعم الكبير الذي يحظون به من الكونغرس بشكل خاص ومن مختلف مؤسسات صناعة القرار الامريكي بشكل عام فضلا عن الموقع الذي نجحوا في التوصل اليه لدى مختلف المؤسسات الاعلامية النافذة... ولاشك ان اوباما سيكون في انتظار ما ستحمله الانتخابات الاسرائيلية بعد ثلاثة اسابيع ليعلن استقبال رئيس الوزراء الجديد في اسرائيل وربما يبدأ بالكشف عن نياته وجهوده فيما يتعلق بملف الشرق الاوسط المعقد وتتضح معه حدود ما يمكن لفريق هيلاري كلينتون تقديمه في المنطقة التي شهدت خلال فترة قصيرة اكثر من حرب كانت لها تكاليفها على الانسان والاقتصاد..

ولاشك ان في حصيلة السنوات الثماني الماضية لرئاسة الرئيس جورج بوش الذي يغادر غير ماسوف عليه ما يمكن ان يفسر اكثر من أي وقت مضى هذا الاهتمام الواسع بالرئيس الامريكي المنتخب باراك اوباما لامن جانب الراي العام الامريكي الذي انهكته الضرائب والازمات الاقتصادية المتواترة وتراجع صورة امريكا في العالم وضياع مصداقيتها فحسب بل كذلك من جانب الرأي العام الدولي وخاصة العربي الذي بات ينظر بكثير من الازدراء والغضب الى قرارات السياسة الخارجية الامريكية المعادية له والى الفيتو الامريكي القائم دوما كسيف مسلط على الرقاب لاجهاض تطلعاته المشروعة في اروقة الامم المتحدة...

وكما ان للرئيس المغادر الذي سيحمل لقب «اسوا رئيس في تاريخ امريكا» اولوياته المعلنة التي لم يعد احد يهتم بها وهي اولويات شخصية ما انفك يروج لها تنطلق من حرص من جانبه على مواصلة الترويج لافكاره ومبادئه بشان الحرية والديموقراطية التي اثبتت افلاسها في اكثر من موقع من العراق الى افغانستان وفلسطين ولبنان وايران فانه في المقابل للرئيس الامريكي الشاب اولوياته التي ستكشف عن توجهات واختيارات زعيم القوة الاولى في العالم لا سيما وان اوباما توخى حتى هذه المرحلة الكثير من التعتيم والتكتم حول سياسته الخارجية واعتمد خلال حملته الانتخابية لغة التعميم دون التخصيص والايحاء دون التحديد ليفتح بذلك الابواب امام كل الاحتمالات والقراءات والتأويلات.

ولاشك في ان حرص اوباما طوال الاسابيع الثلاثة من العدوان السرش على غزة على توخي الحذر المطلق وتجنب اعلان موقف واضح من العدوان الاسرائيلي على غزة ما يثير الكثير من نقاط الاستفهام حول ما يمكن ان يحمله الرئيس الامريكي من جديد في ملف الشرق الاوسط الذي لم يشهد خلال السنوات الثماني الاخيرة لسلفه الجمهوري غير الوعود الزائفة والفرص الضائعة ومحاولات التدويخ حول مفاوضات لم يجن منها الفلسطينيون غير المزيد من المستوطنات.

واذا كان الرئيس الامريكي اوباما قد اختار الوصول الى البيت الابيض مقتفيا خطى الرئيس الاسبق ابراهام لينكولن ومشددا في ذات الوقت امام نصب الزعيم مارتن لوثر كينغ الذي تغنى ذات يوم بخطابه «لدي حلم» Ihave a dream قبل ان يدفع ثمن ذلك الحلم بدمائه بان امريكا لا تزال ارض المفاجات والاحلام فان الاكيد ان الكثيرين يتطلعون الى الا تتوقف حدود التغيير الذي وعد بها الرئيس الامريكي الافريقي الاصل خلال حملته الانتخابية عند المظاهر الاحتفالية التي اراد لها طابعا خاصا يحمل في طياته رسالة لا تخفى على مراقب وهي ان الذين كانوا عبيداً بالامس باتوا اسيادا اليوم بفضل نضالاتهم وتضحياتهم واصرارهم على اقتلاع حقوقهم المدنية ورفض كل قيود التمييز والتهميش والرفض الذي مورس عليهم طوال عقود كانوا خلالها وقود العجلة الاقتصادية الامريكية واسباب هيمنتها الاقتصادية. لقد اختار اوباما او هذا في الاقل ما تسرب حتى الان ان يبدا اول ايام حكمه في البيت الابيض بلقاء مع الفريق المكلف بالعراق ولعل في ذلك ما يعكس رغبة في اظهار نواياه لدى الناخبين بانه مصر على الحفاظ على الوعد الذي قطعه خلال حملته الانتخابية وعدم انطلاق ولايته بما يمكن ان يخذل او يهز ثقتهم على ان تغيير في خيارات الادارة الامريكية قد لا يكون بهذه البساطة وان تحقيق الوعد الاول بالانسحاب من العراق يتطلب اكثر من ذلك.

الإرث الثقيل الذي سيكون اوباما مضطرا لتحمله نتيجة سياسات سلفه لن يعفيه من المسائلة والانتقادات امام تفاقم التحديات واولها التحديات الداخلية في مواجهة راي عام يستعجل التغيير ويتطلع لانهاء اسوا ازمة اقتصادية منذ ثلاثينيات القرن الماضي ولكن ايضا يتطلع الى القطع مع ولاية الرئيس الاقل شعبية لدى الأمريكيين.. وعسى ان تكشف الايام القليلة القادمة ما خفي من سياسة الرئيس أوباما.